يحيا العدل..!!

حـــوار

بقلم: احمد طلعت

عرفت مصر فى الاربعينيات عصابة من قطاع الطرق فى الصعيد يتزعمها رجل اسمه «الخط» واصبح هذا الاسم مثار فزع وخوف لدى المواطنين الآمنين الذين فرض عليهم الاتاوات فى مقابل كل قيراط يزرعونه وكل دابة يملكونها، فاذا امتنع احدهم عن الدفع كان الانتقام بحرق المحصول، او تسميم الماشية، اوخطف الاطفال واعادتهم فى مقابل «الحلوان».

وكانت الشرطة «وقتها» لاتستطيع ان تدخل الى منطقة نفوذ الخط، كما كان المواطنون يمتنعون عن الابلاغ عن جرائم هذه العصابة خشية الثأر والانتقام، فقد كانت للخط دولة داخل الدولة لها قانونها ولها محاكمها، ولها ايضا وسائلها فى تنفيذ العقوبة التى تحكم بها.

ويروى الفلاحون فى قرية «درنكة» التى كانت مركزا لنشاط الخط، ان صراف القرية كان عائدا يوما على ظهر دابته الى المركز لتوريد الاموال الاميرية التى حصلها من الفلاحين، فقطع عليه رجال الخط طريقه وعصبوا عينيه واقتادوه بما يحمل من اموال الى مخبأ الخط، واصدر الخط حكمه امام رجاله «بمصادرة» الاموال التى يحملها الصراف، كما اصدر الحكم بقتله، وبكى الصراف وهو يستعطف الخط ويقول ان له اطفالا صغارا ليس لهم من بعده احد غير الله سبحانه وتعالى وانه لايرى فائدة من ان يقتل مادام قد سلم الخط كل ما فى حوزته من اموال بالتمام والكمال.

ولان الخط كان له قانونه الخاص به، فقد اعتبر ان استعطاف الصراف وبكاءه بمثابة «استئناف» للحكم يستحق ان ينظر فيه تحقيقا للعدالة - عدالة الخط - فقال للصراف انه قد حكم بقتله حتى لايبلغ الشرطة عنه عن اعوانه بعد ان رأى وجوههم وتعرف على مخبئهم. فرد عليه الصراف وهو غارق فى البكاء والاستعطاف بانه يقسم بالله العظيم ألا يقول كلمة واحدة للشرطة تؤدى الى التعرف على الجناة. فاذا حنث بهذا القسم فان الخط ورجاله قادرون على ان يقتلوه هو واسرته جميعا فى الوقت والمكان الذى يناسبهم.

واقتنع الخط بأسباب «الاستئناف» واصدر حكما جديدا بترك الصراف يعود الى اسرته مع مراقبته من افراد العصابة، فارتمى الصراف على اقدام الخط يقبلها «اعترافا بالجميل» وهرول خارجا من مخبأ الخط وهو يهتف يحيا العدل.. يحيا الخط.. فقد كان الحكم نموذجا للعدالة من وجهة نظر الصراف وبصرف النظر عن الذى اصدر الحكم والقانون الذى استند اليه..!!

ولقد تذكرت هذه القصة - بعدها بسنوات - عندما اختلف احد «زملائى» مع جماعة من ابناء الاعيان فى قريتنا فتقدموا ضده ببلاغ الى السلطة المختصة يتهمونه فيه بالقذف والسب ويطلبون اتخاذ الاجراءات القانونية ضده، مع ان هذا الزميل لم يوجه الى احد سبا من اى نوع اوينتقص من قدر احد باية صورة من الصور.

وتوسط بعض اهل الخير عند اعيان القرية، وطلبوا منهم ان يقدروا ظروف «الزميل» وهو رجل طاعن فى السن، وشرحوا لهم انه كان حسن النية فيما رواه عنهم وانه لم يقصد ان يشهر بهم او ينتقد تصرفاتهم وانما كان يبدى رأيه فى قضية عامة، تختلف بشأنها الاجتهادات وتتنوع وجهات النظر، وامام الحاح اهل الخير وافق اعيان القرية على سحب بلاغهم الذى قدموه ضد الزميل «الشيخ» بشرط واحد هو ان يعتذر لهم علنا وامام اهل القرية جميعا.. فى دوار العمدة.

وحاول بعض «الشباب» من اهل القرية ان يجعلوا زميلى يتمرد على حكم «العقلاء» وان يرفض الاعتذار مادام لم يرتكب اثما يعاقب عليه وفقا لاحكام كل الشرائع، لكنه - على عكس هذه النصيحة - وافق على ان يعتذر لاعيان القرية، حتى يجنب نفسه مشقة المثول امام سلطات التحقيق والمحاكمة، وهى مشقة لايتحصلها من كان فى مثل سنه، ولا تليق بمن كان فى مثل ظروفه، وفى «دوار العمدة» ابدى الزميل اعتذاره علنا امام جميع اهل القرية ونفى عن نفسه ان يكون - والعياذ بالله - قد قصد ان يتطاول على احد من ابناء الاعيان او ينتقص من قدرهم. واستطرد زميلى قائلا - بعد الاعتذار - انه يحب اهل القرية ويثق فيهم وانه سوف يقضى بقية عمره محاطا بحبهم وبحمايتهم، لذلك فانه يقبل بحكمهم ايا كان هذا الحكم. وتداول اعيان القرية فيما بينهم، واعلنوا «حكمهم» امام الجميع بالعفو عن زميلى الشيخ وبوضعه تحت المراقبة من عيونهم واعوانهم، فنهض الرجل مهرولا ناحية باب الدوار وهو يهتف يحيا العدل.. يحيا العدل.. واقسم بالله العظيم ان يمشى بقية عمره «جنب الحيط»..!!